

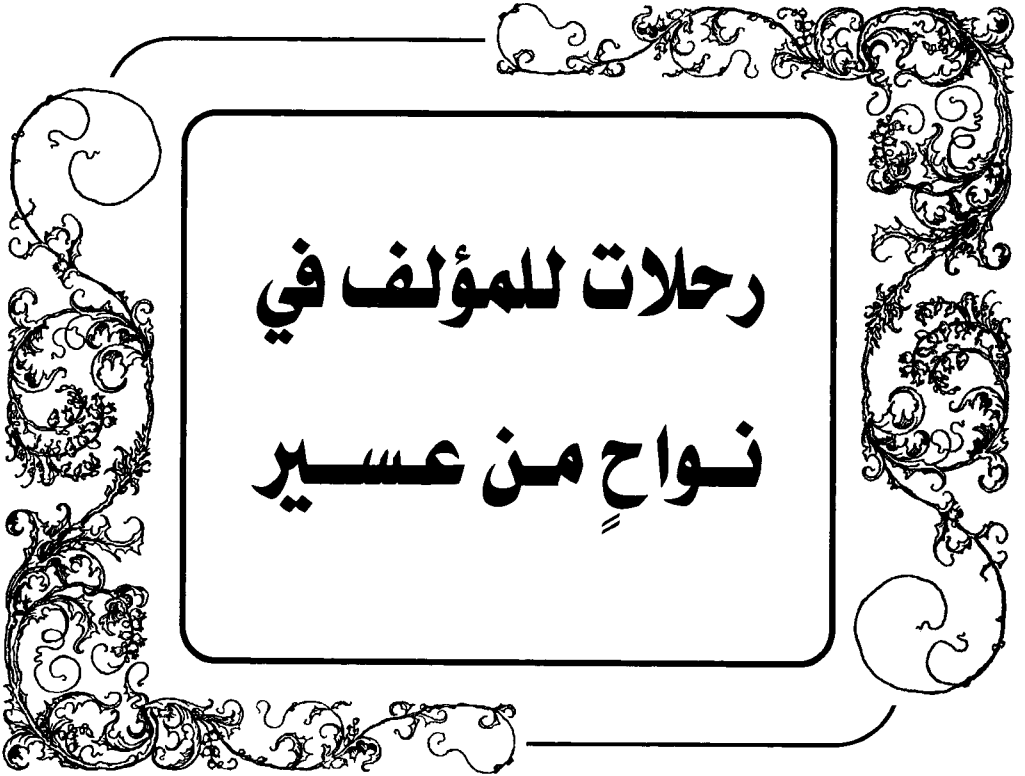
رحلات قصيرة للمؤلف (ابن جريس) في نواحي من عسير (*)

أ. د. غيثان بن علي بن جريس

(*) دراسة منشورة في كتاب: القول المكتوب في تاريخ الجنوب، لغيثان بن جريس، (الطبعة الأولى) (الرياض: مطابع الحميضي، ١٤٣٢ هـ / ٢٠١١ م)، (الجزء الثاني)، ص ص ٤٢٥ - ٤٥٦. (الطبعة الثانية) (الرياض: مطابع الحميضي ١٤٤٢ هـ / ٢٠٢٠ م)، ص ص ٤١٧ - ٤٣٦.



القسم السابع :



رحلات للمؤلف في
نواحٍ من عسير

فهرس القسم السابع :

| م | الموضوع | رقم لصفحة |
|----|--|-----------|
| ١- | تمهيد | ٤٣٦ |
| ٢- | رحلة أبها سراة عبيدة يوم الخميس (١٣/١٠/١٤١٢هـ) | ٤٣٨ |
| ٣- | رحلة أبها المجاردة يوم الجمعة (١٢/٩/١٤١٢هـ) | ٤٤٥ |
| ٤- | خلاصة القول | ٤٥٣ |

١. تمهيد :

من يطالع كتب التراث الإسلامي المبكرة ، يجدها تحتوي على الكثير من المدونات والمؤلفات الخاصة بعلم الرحلات . وهناك العديد من الجغرافيين والمؤرخين الرحالة الذين جابوا بلاد الإسلام ، بل بعضهم لم يقتصر في رحلاتهم على أراضي المسلمين وإنما ذهبوا إلى بلاد النصارى والبوذيين والهندوكيين وغيرهم ، فدونوا قصصاً وأخباراً نادرة يصعب علينا أن نجدنا في أي مصدر آخر^(١) . واستمر علم الرحلات حتى عصرنا الحديث والمعاصر ، فوجد المكتبات تشتمل على عشرات الكتب لرحالة مسلمين وغير مسلمين ، والبعض

(١) الرحالة المسلمون الأوائل كثيرون ومن أشهرهم : يعقوبي ، وابن رسته ، وابن خردادبة ، وابن الفقيه ، وابن حوقل ، والإصطخري ، وقدامة ، والمسعودي ، والهمداني ، وابن جبير ، وناصر خسرو ، وياقوت الحموي ، والإدرسي ، وابن فضلان ، وابن الجاور ، وابن بطوطة .

منهم وصلوا إلى الجزيرة العربية ، وزاروا بلادنا المعنية في هذا الكتاب (عسير والقنفذة)^(١).

ولسنا بصدد تتبع أولئك الرحالة وأعمالهم العلمية ، ولكن من يقرأ ما وصلنا منهم عن جنوبي البلاد السعودية يطلع على تفصيلات قيمة تم رصدها وتدوينها في تلك المؤلفات ، والجميل في تلك المعلومات تنوعها ، وندرقتها ، وغالباً عدم توفرها في أي مصدر أو مرجع آخر^(٢) . وبما أنني من أبناء جنوبي السعودية ومن منطقة عسير تحديداً وقضيت معظم حياتي في هذه الديار ، ولي انطباعات ومشاهدات على ما عاصرناه، وآمل أن يأتي اليوم الذي نجمع وننشر فيه هذه الخبرات والمشاهدات في سفر مستقل . أما هذه الجزئية التي نشرها فهي عبارة عن رحلتين قصيرتين . الأولى: من أبها إلى سراة عبيدة يوم الخميس (١٣/١٠/١٤١٢هـ)^(٣) . والثانية: من أبها إلى محائل عسير، ثم بارق والمجاردة وخاط يوم الجمعة (١٢/٩/١٤١٣هـ)^(٤).

(١) هناك عشرات الرحالة المسلمين وغير المسلمين في عصرنا الحاضر ، ومنهم من زار الجزيرة العربية وبخاصة جنوبها مثل عسير وجازان ونجران والقنفذة وما حوّلها ، ومنهم : نيبور ، وتاميزية ، وهاليفي ، والسير كيناهان كورنواليس ، وسليمان شفيق باشا ، وفؤاد حمزة ، وفيليبي ، وفيليب ليبتر ، والشريف البركاتي ، ومحمود شاكر وغيرهم .

(٢) هذا ما تم الاطلاع عليه ، وقد أخرج الباحث بعض الدراسات الخاصة ببعض أولئك الرحالة في العصر الحديث ، واتضح له أهمية القيمة العلمية التي حفظوها لنا .

(٣) خرج معي في هذه الرحلة كل من خالي عبد الله بن محمد بن سعيد العمري ، والد زوجتي أم المثني ، وابني الأكبر المثني بن غيثان . وكان خروجنا من أبها إلى أحد ريفية قحطان ثم سراة عبيدة ، وفي نفس اليوم عدنا إلى منزلنا في أبها مروراً بناحيتي الجرة وتمنية في شعب شهران .

(٤) في هذه الرحلة لم يكن برفقتي أحد . ولا زال لدينا العديد من الرحلات المدونة والمتنوعة في أهدافها ونتائجها وآمل أن يمد الله في العمر حتى نخرج جميع رحلاتنا الداخلية والخارجية في مؤلف واحد.

٢. رحلة أبها سراة عبيدة (الخميس ١٣/١٠/١٤١٢هـ)^(١).

كانت رحلتنا من مدينة أبها في الساعة الحادية عشرة صباحاً ، وكنا نستقل سيارة كراون ، صنع ياباني موديل (١٩٨٩م) ، خرجنا من أبها على طريق الشعف الذي يربط مدينة أبها بمنزرة دلغان والقرعاء (الفرعاء) ، والجرة ، ثم اتجهنا إلى الطريق الذي يتصل بطريق نجران خميس مشيط ، ويتفرع حول المدينة العسكرية ، وعندما وصلنا إلى الطريق الرئيس الذي يربط خميس مشيط بنجران سلكناه تجاه الجنوب مروراً بأحد رفيده ، ثم واصلنا السير حتى مررنا على بعض القرى القحطانية مثل المضيق ، والمربع ، والقرحاء ، وآل الداخس ، وعين اللوى ، والعسران ، وآل بلحي ، وآل بي حبيب ، وقرى الوادي الأبيض ، وقرن وقشة ، ثم سراة عبيدة ، المركز الرئيس في تلك الديار ، وهي في مستوى أحد رفيده حضارياً وعمرانياً .

وعند وصولنا إلى مدينة السراة خرجنا إلى الجنوب بجوالي خمسة كيلو مترات فوجدنا مفرقاً من الخط تجاه الشرق فسلكناه وذهبنا في طريق ضيقة ومسفلتة حوالي (١٠ - ١٥ كم) شاهدنا بعدها بعض القرى أمثال آل عوير وقرية الصحن التي كان خالي يرغب زيارتها ، وكانت قرى صغيرة ، وأغلب المباني بها حديثة العهد . ثم عدنا من ذلك المكان في طريقنا تجاه سراة عبيدة وبلاد رفيده ومنطقة الجرة وتمنية والمسقي في شعف شهران حتى مدينة أبها .

(١) هذه البلاد الممتدة من أبها إل سراة عبيدة وظهران الجنوب في بلاد قحطان جديرة بالبحث والدراسة ، والناظر في كل ماتم تدوينه عن منطقة عسير ، يجد هذه الديار لازالت من أقل النواحي في مجالي البحث والدراسة ، مع أنها مناطق مأهولة بالسكان منذ القدم ، كما أنها ذات موقع استراتيجي تربط اليمن ونجران جنوباً ببلاد قحطان والسراة الواقعة شمال أبها والممتدة إلى الطائف ومكة المكرمة . آمل من أبناء هذه البلاد وبخاصة الأكاديميين منهم ، كما آمل من جامعي الملك خالد ونجران أن تبذلا قصارى جهودهما في دراسة هذه الناحية والبلاد الممتدة من نجران وظهران الجنوب إلى الباحة والقنفذة .

وفي هذه الرحلة كنا نرى العمران الحديث هو الغالب على جميع المواطنين التي مررنا عليها ، إلى جانب النشاط الاقتصادي مثل المحلات التجارية على قارعة الطريق، والخطات الخاصة بمشقات البترول ، إلى جانب قرى وبيوت ومرافق سكنية حديثة ، كما شاهدنا قرى عديدة يظهر عليها القدم ، والبعض منها يعود إلى مئات السنين ومعظمها غير مسكونة .

والقرى والبيوت القديمة في أغلب بلاد قحطان وفي أجزاء من بلاد شهران ، مبنية من الطين وترتفع إلى دور ودورين وثلاثة ، وهناك بيوت مبنية من الحجارة واحياً من الطين والحجارة معاً وبعض الحصون تجدها داخل القرى وتستخدم للسكن ويظهر عليها الاتساع والمساحة الفسيحة ، في حين أن حصوناً أخرى ترتفع ربما إلى (١٥) أو (٢٠) متراً ، وتوجد في الأودية ، أو على رؤوس الجبال ، أو وسط المزارع ، ويغلب عليها الضيق ، ولها مدخل ضيق جداً لا يدخل معه إلا الرجل منحنيّاً على يديه ورجليه ، وبها أبراج صغيرة لا يزيد سعة البرج الواحد عن (٤٠سم × ٤٠سم) ، والهدف من عمارتها استخدامها للمراقبة أثناء الحروب وحراسة المزارع.

وقد سألت بعض سكان المنطقة عن بنائها فقالوا: يجمع التراب بالأبقار لمدة يوم أو يومين ، ثم يترك لبعض الوقت ، ويسرب إليه الماء ويدرس مرة أخرى ، وأحياناً يوضع عليه التبن ، أو الرفة^(١) ، وعندما يوضع عليه التبن يكون صالحاً للاستخدام وتبنى به تلك الحصون . والشيء الغريب في بناء تلك الحصون أنها تؤسس قاعدتها بالحجارة وترتفع أحياناً إلى متر أو مترين وأحياناً ثلاثة أمتار، ثم يستكمل بقية البناء من الطين ، والهدف من هذه القاعدة ، حماية البيت من الانهيار مع مرور الزمن وسقوط الأمطار وهبوب الرياح ، وأثناء تشييد الحصن أو البيت

(١) التبن والرفه : ما ينتج من درس منتوجات القمح والشعير بعد تصفية الحبوب .

وبعد الارتفاع في البناء بحوالي متراً أو نصف متر يوضع على التوالي حول البناء حجارة لتكون على هيئة مظلة ، حتى يترى المطر عليها ثم يسقط على الأرض ، ومن ثم يحمي الطين الذي شيد منه البيت من التلف ، وبعض الأسماء لتلك الحجارة يطلق عليه بلهجة أهل البلاد (الرقف) ^(١).

وتختلف الموارد الطبيعية لسكان هذه البلاد ، فهناك أماكن غنية بالمراعي والمياه ، وجودة الغطاء النباتي ، ومناطق أخرى كالجبال العالية ، وسهول ووهاد لا يوجد بها إلا شجيرات صغيرة وحشائش ، ولحسن الحظ أن الوقت الذي ذهبنا فيه كان في بداية الصيف فالجو معتدل ولكنه يميل إلى الحرارة في وسط النهار ، والأرض قد سقيت بالأمطار الكثيرة فترى أغلب الجبال والأودية مكسوة بالحشائش والأعشاب وماشبهها . وأغلب نباتات المنطقة بين المدينة العسكرية وسراة عبيدة ، شجر الطلح والذي يسميه أهل البلاد الشوك ، أما البلاد الممتدة من أبها عبر منطقة الشعف والجرة وقرية وتمية والقرعاء (الفرعاء) ودلغان ، فأغلب نباتاتها شجر العرعر ويوجد بها أيضاً الطلح ، وبعض الأشجار الأخرى .

وكان الزمن الذي ذهبنا فيه وقت إجازة (يوم خميس) ، وهذه المناطق تعتبر من أجمل الأماكن للترهة ، لهذا تجد بها أعداداً كثيرة من سكان أبها والخميس ومن بعض القرى المجاورة للمدن الكبرى جاءوا لقضاء يومهم في المنزهات ، وتلاحظ معهم أولادهم ، ونسائهم ، وسياراتهم المختلفة في الألوان والموديلات ، والغالبية على أولئك المترهين إنهم يحضرون معهم أطعمتهم وأشربتهم لقضاء يومهم ، ثم يعودون آخر النهار إلى منازلهم ، وفي الجرة وتمية وما حولهما ، مناطق زراعية جيدة، وغالبية زروعهم البر والشعير ، والخضروات المختلفة .

(١) للمزيد عن هذا البناء وشكله في العمارة ، انظر: ابن جريس . عسير (١١٠٠ - ١٤٠٠هـ) ،

وأثناء تجوالنا في شعف شهران تمينة والجرة عثرنا على شيخ كبير في السن يمشي على قدميه ، وقد بلغ من العمر حوالي سبعين سنة ، فتوقفنا لسؤاله عن بعض المعلومات ، فرحب بنا أجمل ترحيب ، وأول سؤال سألناه : هل هو من المنطقة ؟ فأجابنا بنعم ، فسألته عن اسمه فقال : سعيد الشهراني، ثم اتبع قوله أنه من قبيلة بني مالك شهران ، وكنت أرغب أن أستزيده في بعض الأجوبة على بعض الأسئلة ، فقلت له إلى أين أنت ذاهب؟ فقال: سوف أذهب إلى المسقي . وهي على الطريق الواصل بين القرعاء والجرة فقلت له الآن سوف نذهب من هناك ، ثم طلبت منه أن يركب معنا لتوصيله فرحب بذلك . ثم سألته عن بعض القرى التي كنا نمر بها فقال : أما القرى التي ركبت منها فيطلق عليها دار عثمان وهي إحدى قرى قبيلة بني مالك الشهرانية ، وهناك قرى في نفس المنطقة تتبع لنفس القبيلة ، أمثال: آل دهمش ، آل فرحاء ، الشرحة ، آل ينفع ، القارية ، تمينة ، وآل قرع ، وأضاف أن آل قرع بها سوق أسبوعي يسمى سوق اثنين ابن حموض^(١) وكان يشير بيده إلى كل قرية يذكرها إلا أنه كان هناك قرى أخرى مختلطة مع القرى التي أشار إليها فسألته عن تلك القرى ، فقال: إنها تتبع لقبيلة رفيدة القحطانية ، ثم عدد ثلاث قرى هي : آل علي ، القرن ، وآل جليحة ، وكل هذه القرى كانت تشترك مع القرى الأخرى الشهرانية في المزارع ، ومصبات المياه ، وحتى في بعض المواطن السكنية ، وجميع القرى التي أشرنا إليها نقلاً عن سعيد الشهراني كانت تقع في المنطقة التالية إلى قرية المسقي تجاه الجنوب ، والجنوب الغربي من تلك الديار .

عدنا أدراجنا على طريق الشعف الذي يمر ببلاد القرعاء ، وقرى عديدة لقبيلة شهران ، وقبائل عسير ، وبخاصة عشيرة مغيد حتى وصلنا منزلنا في أبها . ومن خلال

(١) ابن حموض ، أو آل حموض : أسرة من عشيرة بني مالك شهران ، بل هم مشايخ هذه العشيرة منذ زمن قديم .

هذه الرحلة المحدودة في زمنها وموقعها الجغرافي خرجنا بالعديد من الانطباعات التي ندرج أهمها في النقاط التالية :

١- من خلال استقراء تاريخ هذه الأوطان التي مررنا بها ، والاطلاع على ما كتب حولها خلال القرون الماضية المتأخرة ، وما تحويه بعض الوثائق التي استطعنا الاطلاع عليها اتضح لنا البون الشاسع في حياة الناس قديماً وما يعيشونه اليوم ، ففي الماضي كان هناك فقر وعدم وفره في ضروريات الحياة من سكن ، وطعام وشراب ، ولباس بعكس الثراء والخيرات التي يعيشها سكان هذه الأجزاء وغيرهم من سكان المملكة العربية السعودية في يومنا الحاضر . ومن ثم فلا وجه للمقارنة بين الماضي والحاضر . ومن يسع للتأمل ومقارنة ما كان عليه الآباء والأجداد وما نحن عليه اليوم فإنه يدرك العناء والتعب الذي عاشه الأوائل ، واليسر والرفاهية التي نعيشها نحن أبناء هذا العصر .

٢- إن حضارة الماضي (سياسياً ، واجتماعياً ، واقتصادياً ، وثقافياً وفكرياً ، ونفسياً) هذه البلاد ، وواقعها الحاضر يؤكد على التطور والنمو الحضاري الذي مرت ولا زالت تعيشه هذه الناحية ، وهي في الواقع جزء يسير جداً من حال المملكة العربية السعودية التي تعيش الآن في أزهى عصورها ^(١).

٣- لقد شاهدنا تطوراً حضارياً في بناء الدور ومرافقها ، وشق الطرق ، وإنشاء العديد من المشاريع الجبارة ، وهذا في حد ذاته أمر محمود وإيجابي، لكن مع النمو والاستقرار الكبيرين ظهرت العديد من الجوانب السلبية ، ومنها تباعد

(١) هذه الرحلة كانت في أوائل العقد الثاني من هذا القرن ، وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك فهد بن عبد العزيز (يرحمه الله) ، ولأزلنا حتى هذا التاريخ أوائل العقد الرابع من القرن نفسه ، وفي عهد خادم الحرمين الشريفين الملك عبد الله بن عبد العزيز نعيش في رخاء ونعمة وفضل كبير من رب السماوات والأرض فله الحمد والشكر على ما أنعم به الله على هذه البلاد .

الناس بعضهم عن بعض في مساكنهم ، وهذا جعل الفرد يشعر بالاستقلالية ، وأحياناً الانقطاع والجفوة مع أهله وذويه وعشيرته ، كما أن الصراع على حطام الدنيا ، وكثرة البغضاء والشحناء ارتفعت نسبتها عما كانت عليه . كما واكب تعدد المشاريع العمرانية الإساءة إلى الطبيعة ، ففي الماضي كانت معظم هذه الديار مكسية بالغابات والكثير من الحشائش والأشجار ، واليوم ترى الكثير من الأودية والجبال التي مررنا عليها خالية من الخضرة ، وأحياناً بلاد جرداء لا يوجد بها أي شيء من الأعشاب والأشجار والنباتات الطبيعية.

٤- الملاحظ على جميع الديار المعنية في هذه الرحلة إنها قديماً وحديثاً بلاد مأهولة بالسكان ، وجميع أهلها من أرومة عربية جلهم قبائل يمانية قحطانية. وإذا كان بينهم في الماضي عناصر غير عربية فهم قلة ، ولا يقارنون مع سكان اليوم ، لأن التطور الحضاري الذي تمر به عموم المملكة جعلت أهل هذه البلاد يجلبون أيادي بشرية من جميع أنحاء العالم ، ومن ثم فلا غرابة أن ترى على طول هذه البلاد التي مررنا بها مئات بل آلاف البشر من جنسيات أخرى عربية وغير عربية، وهم جميعاً يعملون في مئات الحرف والمهن المختلفة. ومثل هذه العمالة التي جاءت إلى هذه البلاد، لها من الإيجابيات والسلبيات ما يصعب حصره في هذه الصفحات المحدودة، ونأمل من فرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد ابن سعود أن تولي مثل هذا الجانب كبير اهتمام في دراسة أوضاع هؤلاء الوافدين ، وما جلبوه إلى بلادنا من جوانب سيئة وحسنة ، وما الحلول المناسبة لمثل هذا الجانب^(١).

(١) إذا كان تدوين هذه السطور في عام (١٤١٢هـ) ، ولا يوجد في الجنوب أي جامعة مستقلة ، وإنما فروغاً لبعض الجامعات ، أما اليوم فأصبح في جنوب المملكة أربع جامعات ، هي (جامعة الملك خالد ، وجامعات نجران ، وجازان ، والباحة) ، ناهيك عن عشرات المعاهد ، ومراكز البحث والتدريب وغيرها التي أصبحت منتشرة في كل أصقاع الجنوب ، ومن ثم فالمسؤولية على هذه المؤسسات العلمية أصبحت أعظم وأكبر ، وأرجو أن تقوم بمسؤولياتها كما يجب .

٥- من خلال مرورنا بهذا الجزء البسيط من بلاد المملكة العربية السعودية ، تبلور لدينا العديد من النتائج والتوصيات والتي نورد بعضها في النقاط التالية.

أ- ما يجب علينا نحن رجال اليوم من مسؤولية أمام الله عز وجل وأمام ولاة أمرنا ، وبلادنا هو الحرص على أن نكون أعضاء صالحين مفيدين لأنفسنا، ولجميع شرائح مجتمعنا ، وأن نعمل على كل ما فيه رفعة ديننا ووطننا ، وأن يعمل كل فيما أوكل إليه بجد وإخلاص راجياً الأجر من الله عز وجل.

ب- كلنا ندرك ما كان يعيشه آباؤنا وأجدادنا من الصراعات والنعرات القبلية، ومن الخوف والجوع والفقر ، ثم تحولت أوضاع البلاد من سيء إلى حسن، ومن شر إلى خير ، وهذا لم يحدث إلا بتوفيق من الله عز وجل ، ثم بالجهود الجبارة التي بذها الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن (يرحمه الله) ومعه رجال صالحون مخلصون بذلوا الغالي والرخيص في توحيد كلمة الناس على راية التوحيد . ودورنا الآن هو السير على طريق الأوائل في بذ الشتات والفرقة ، والعمل على نصره الدين ووحدة البلاد على منهج الله عز وجل .

ج - هناك الكثير من النواحي والأمور التي يجب معرفتها ودراستها حتى نحافظ على الماضي ، ونربط الماضي بالحاضر. وهذه مسؤولية طلاب العلم والبحث ، بل مسؤوليات المؤسسات التعليمية وكل من لديه قدرة على حفظ القديم الجيد وربطه بالحاضر والمستقبل المشرق . ومن تلك الأمور الهامة والواجب دراستها نذكر على سبيل المثال لا الحصر ما يلي:

١- تاريخ وحضارة العمارة القديمة والحديثة في بلاد عسير أو جنوب البلاد السعودية.

- ٢- تاريخ اللهجات وما جري على اللغة العربية قديماً وحديثاً ، وما سوف تؤول إليه مع وصول آلاف الجنسيات واللهجات إلى هذه الأوطان ، أو إلى عموم البلاد السعودية.
- ٣- ما يوجد بهذه البلاد من الأشجار والنباتات والأعشاب التي تستحق الدراسة تاريخياً وعلمياً وطبياً .
- ٤- التطورات والتبدلات الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والحضارية الأخرى التي مرت وتمر بها البلاد ، مع ذكر بعض التوصيات التي يمكن الاستفادة منها في المستقبل القريب والبعيد على حد سواء .

٣. رحلة أبها المجاردة خاط (الجمعة ١٢/٩/١٤١٣هـ)^(١)

خرجت بمفردي مستقلاً نفس السيارة الكروان التي أشرت إليها في الرحلة السابقة^(٢) ، اتجهت إلى الشمال أثناء خروجي من أبها سالكاً الطريق المعبد الذي يربط بين أبها والطائف ، وعند خروجي من المدينة وتجاوزي طرفها الشمالي ، رأيت لوحة من إعداد وزارة المواصلات وعليها رقم (٥٤٣) كيلو متر، وهي المسافة التي بين أبها والطائف ، واصلت طريقي ماراً على قرى علكم ، وبني رزام ، والقيصة ، والملاحة حتى وصلت منطقة شعار بعد خمسة وعشرين كيلاً ، عندئذ انخرقت تجاه الغرب حيث كانت رحلتي إلى الأجزاء التهامية من عسير كمحائل وبارق والمجاردة وخط .

(١) بلاد المجاردة وخط تقع في النواحي التهامية الخاصة ببلاد بني شهر وبني عمرو ، وللمزيد عن تاريخ هذه البلاد ، انظر كتابنا : بلاد بني شهر وبني عمرو خلال القرنين (١٣-١٤هـ/١٩-٢٠م) (الطبعة الثانية /١٤٢٩هـ-٢٠٠٨م) ، ص ٢٢ وما بعدها .

(٢) كان ذهابي في هذه الرحلة في شهر رمضان الموافق (١٢/٩/١٤١٣هـ) .

وفي رأس عقبة شعار وجدت نقطة عسكرية^(١) وبها العديد من العسكر المقيمين بها بشكل مستمر للمحافظة على إقامة الأمن والاستقرار، فتجاوزتهم دون أن يسألني أحد من الجنود الذين كانوا هناك وانحدرت بي الطريق، وكانت سهلة المسلك لأنها معبدة، بها أحد عشر نفقاً تتراوح أطوالها ما بين المئات والعشرات الأمتار، والملاحظ على تلك الأنفاق أن ارتفاعها يتراوح من (٥٥,٥ م) إلى (٦ م)، كما أن طول العقبة من رأس الجبل إلى سهل الوادي حوالي أربعة عشر كيلاً، وعند نهاية العقبة مررنا بوادي تيه الممتد من أسفل عقبة شعار إلى محائل، ويظهر عليه أنه لا يوجد به ماء ولا كثير أشجار وإنما أغلب نباتاته من الطلح وبعض الأعشاب والشجيرات الصغيرة الأخرى.

وبعد السير حوالي نصف ساعة أدركتني صلاة الجمعة في حوض زهير، وهي قرية صغيرة تأتي قبل بلدة محائل فصلت بها ثم سرت في طريقي إلى مدينة محائل، وبالتالي قطعت حوالي ثمانين كيلاً من أهما إلى محائل. وعند وصولي إلى وسط مدينة محائل عرجت على سوقها المركزي والذي يطلق عليه سوق السبت تجولت في نواحيه ورأيت بعض النشاطات الاقتصادية والتجارية، ثم واصلت الرحلة متجهاً نحو الشمال في ذلك الطريق المعبد الضيق والذي هو خاص للذاهب والآيب من الشمال إلى الجنوب والعكس.

وكنت في اتجاهي أريد الوصول إلى بارق التي تبعد عن محائل تجاه الشمال بحوالي خمسين كيلاً، ومن هناك واصلت السير حتى بلاد المجاردة وخاط في تمامة بني شهر، وخاط تبعد عن بارق حوالي خمسين كيلاً، والمجاردة قبل خاط بحوالي (٦-٨) كيلو مترات، فزلت بها وتجولت في سوقها الذي يسمى سوق الأحد واشترت منه بعض

(١) من يعود إلى العديد من الوثائق والمصادر المخطوطة والمطبوعة يجد تفصيلات تاريخية عن شعار، وما دار فيها من الحروب والمعارك بين العسريين وبعض القوى الأخرى مثل: العثمانيين، والأشرف، والأدارة، وغيرهم.

الأغراض البسيطة ، ثم ذهبت إلى خاط ونزلت سوقها الذي يطلق عليه سوق الخميس ، وكان في السابق يطلق عليه سوق الأحد أيضاً ، وفي أعالي خاط انقطع بي الطريق المعبد وواجهت طريقاً تريبياً يصعد إلى مدينة النماص في بلاد بني شهر وتلك الطريق يطلق عليها عقبة سنان ، ولا يستطيع الصعود معها إلا السيارات القوية مثل سيارات التويوتا وما شابهها^(١) .

وعند وصولي إلى أعالي خاط صارت الساعة الثالثة بعد العصر مع العلم أنني قد خرجت من مدينة أبها في صباح ذلك اليوم حوالي الساعة العاشرة ، ولم يكن عليّ إلا الرجوع إلى أبها لأجل إدراك الإفطار وصلاتي العشاء والتراويح بها ، ومع هذه الرغبة وضيق الوقت عدت إلى منزلي في أبها .

وفي تلك الرحلة التي استغرقت حوالي خمس ساعات شاهدت أموراً عديدة في الجوانب الاجتماعية والفكرية والاقتصادية ، نذكر نبذةً منها لعل القارئ الكريم يدرك ولو جزءاً بسيطاً طريقة التعايش في هذه المنطقة التي أتينا عليها والتي يبلغ طولها حوالي مئتي كيلو متر .

(١) ذهبت مرتين من قرية والدي في السراة إلى المجاردة وخط مشياً على الأقدام . الأولى برفقة عمي ، والثانية مع بعض زملاء الدراسة بثانوية النماص ، وكتلتها خلال النصف الأول من تسعينيات القرن الهجري الماضي . ولمست المشقة التي يعانها أهل قامة والسراة وهم يسلكون العقبات الوعرة التي تربط بين الناحيتين عبر السفوح الغربية للسروات ، والمعروفة عند أهل البلاد باسم (الأصدار) ، ومفردها صدر) . كما رأيت بساطة وتدني حياة السكان في قامة (خاط والمجاردة) وبخاصة في هيئة مساكنهم ، وألبستهم ، ونوعية طعامهم وشرابهم ، بالإضافة إلى صعوبة المواصلات بين القرى والأرياف لعدم وجود طرق واسعة وسهلة كما نرى اليوم ، فلم يكن لهم وسائل نقل إلا حمل أمتعتهم وأغراضهم على ظهورهم ، أو على الدواب كالحمير وما شابهها . وقد شاهدنا ازدحام أسواقهم الأسبوعية بالتسوقين والسلع ومعظمها محلية ، وأحياناً تجلب من البلدان المجاورة مثل القنفذة وقامة عسير ، ورجال ألمع ، وجازان ، ومكة المكرمة ، بالإضافة إلى ما يسوق إليهم أهل السراة من البضائع كالبطاطس ، والحبوب وغيرها .

أما الجانب الاجتماعي من وقت خروجي من أهما فيلاحظ النمط العمراني الجديد في المنازل والمتاجر المشيدة بالخرسانة تنتشر على قارعة الطريق ، وفي الأجزاء السروية وقبل أن تنحدر بنا عقبة شعار وبخاصة في بلاد علكم ، وبني رزام ، والفية والملاحة ، وشعار ، كما لاحظنا العديد من الحصون التي تتراوح ارتفاعاتها من (١٠ إلى ٢٠ أو ٢٥ متراً) ، ويوجد البعض منها على رؤوس الجبال والهضاب والبعض الآخر في الأودية، كما أن بعضها على شكل أسطواني وآخر على هيئة مرتفعات أو مستطيلات ، ولكنها جميعاً ظهرت عليها علامات الانهيار والخراب ، وجميعها مبنية من الأحجار، وفي بعض الأحيان أجزاءها السفلية مبنية من الحجر، ثم تستكمل بالطين، وبعض تلك الحصون كان الهدف الرئيس من بنائها هو استخدامها في الحروب خلال القرون السابقة، إلى جانب أنه كان هناك بيوت قديمة إلى جانب البيوت الحديثة وبدون شك كانت تستخدم للسكن^(١).

وعند نزولنا في عقبة شعار التي يظهر عليها الانحدار الشديد ، واصلت السير إلى محائل وبارق وخاط ، ولا حظنا بيوتاً قديمة وأغلبها لا تزيد عن طابق واحد ، في حين أن هناك قرى وبيوتاً حديثة أنشئت وهي الأخرى تتكون من دور واحد وأحياناً دورين ومن النادر ثلاثة أدوار^(٢). ولا يوجد في الأجزاء التهامية حصون كثيرة

(١) السائح في بلاد تهامة والسراة والممتدة من مكة المكرمة والطائف إلى جازان والطائف ونجران يشاهد تنوع الحصون والقصور القديمة في هذه النواحي ، بل يلحظ تنوع مواقعها ومواد بنائها . وهذا الأمر ينطبق أيضاً على مئات القرى القديمة المنتشرة في هذه الديار . والجامعات المتواجدة في هذه الجهات عليها مسؤولية كبيرة لدراسة العمران والجوانب الحضارية التراثية في هذه المناطق . وحسب علمي وأنا أدون هذه الحاشية في أواخر عام (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م) أنه لا يوجد بهذه الجامعات (الطائف ، الباحة ، الملك خالد ، جازان ، ونجران) أي كلية أو قسم يدرس تاريخ العمارة أو الهندسة المعمارية ، أو التراث المعماري القديم والحديث في هذه البلاد ، وهذا في نظري قصور في هذه الجامعات ، والواجب عليها أو بعضها أن يولي هذا الجانب أهمية قصوى .

(٢) هذا ما شاهدناه في أوائل العقد الثاني من هذا القرن ، والآن ونحن ندون هذه الحاشية في أوائل العقد الرابع من القرن نفسه (١٤٣١هـ / ٢٠١٠م) ، نلاحظ تزايد عدد أدوار البناء في مناطق محائل والمجاردة حتى الأربعة والخمسة أدوار وربما تزيد وترتفع في المستقبل .

مقارنة بالأجزاء السروية ، والكثير من أهل السراة نزلوا إلى المراكز الحضارية في الأجزاء النهامية مثل : محائل وبارق والمجاردة وخاط وغيرها فامتلكوا الأراضي الزراعية والسكنية ومن ثم بنوا لهم المساكن والعقارات والمخلات التجارية^(١). ويلاحظ التفاوت في تلك المدن الحضارية التي مررنا بها فأكثرها نشاطاً مدينة محائل ثم المجاردة ، وبارق ، فخاط ومعظمها بها مراكز إدارية كمستشفيات أو مستوصفات ، ومحافظات (إمارات سابقاً) ، وإدارات للشرطة ، والمحكمة، والبرق والبريد، ومدارس وغيرها ، وجميع هذه المراكز الحضارية ترجع في إدارتها إلى إمارة عسير .

ومعظم سكان المجاردة وخاط وبارق ومحائل يرجعون في أنسابهم إلى قبائل السراة الممتدة من أبا إلى النماص وسبت العلابا ، وجميعهم يعودون في أنسابهم إلى قبائل قحطان اليمانية .

ومن ينظر في أعالي الجبال التي تطل على وادي خاط يلاحظ بعض البيوت القديمة المبنية من الحجارة والمطلية بالحص ، والغريب في تلك المنازل أنها في قمم الجبال ولا يستطيع أن يذهب إليها الإنسان إلا بكل مشقة مشياً على الأرجل ،

(٣) أهالي قمامة يغلب عليهم الكسل والخمول ، ففي الماضي بلادهم فقيرة والجوع والأمراض منتشرة فيها ، ومع بدايات عصر التنمية في المملكة بدأت المدينة تغزو مراكز عسير الحضارية مثل أبا ، وحميس مشيط ، وبيشة وغيرها ، وتأخرت بعض الشيء عن الحواضر الرئيسة في قمامة مثل : محائل ، والمجاردة، ومع عصر النمو والتطور ، ووفرة المال في أيدي الناس وبخاصة أهل السراة صاروا يذهبون إلى الأجزاء النهامية فيملكون الدور والأراضي والمزارع ، ويسعون جاهدين على استثمار أموالهم في هذه النواحي ، ومن ثم صارت بلاد قمامة تتغير إلى الأحسن ، بل نجد محائل عسير والمجاردة في يومنا الحالي تتضاهي المراكز الحضارية الأخرى في السروات ، والفضل في تنشيط النمو والتحضّر في هذه الديار بعد الله عز وجل ، ثم لخطط دولتنا الرشيدة ، ثم لأهالي السراة الذين ساروا بهذه البلاد إلى الأمام في نموها وتطورها الحضاري .

وأخبرني بعض أهالي تلك المنطقة أن البعض منها لازال مسكونا ولا أدري عن صحة ما ذكر ، لأني لم أستطع الصعود إليها لوعورة مسالكها .

وكما أشرنا فغالبية سكان هذه البلاد من العرب الخالص إلا إنهم لا يخلون من بعض السكان الذين قدموا إلى البلاد في القرون الماضية ، وبخاصة من الأجزاء الإفريقية كالسودان والحبشة وإريتريا والصومال وغيرها ^(١) . بالإضافة إلى العديد من الوافدين المتأخرين من مصر والسودان والباكستان والهند وتركيا وغيرها من بلاد المسلمين ، والذين يعملون في مهن متعددة كالزراعة والتجارة والحرفة المهنية المختلفة.

ويظهر على ألبسة وزينة سكان منطقتنا العمامة والثوب والنعال للرجال والحجاب والرداء أو العباءة للنساء ، وأغلب الوافدين يلبسون القميص والبنطلون وما شابهها ^(٢) . وآخرون من أبناء المنطقة ، وهم قليلون ، لازالوا يلبسون الحوكة

(١) ربما قرب هذه البلاد من ساحل البحر الأحمر الشرقي الذي كان أهله على صلوات مستمرة مع ساحله الآخر (الغربي) والذي يعيش عليه العديد من العناصر الإفريقية . وهذا مما جعل احتكاك سكان الساحلين سهلاً وميسراً ، ومن ثم فلا غرابة أن وصل بعض سكان إفريقيا إلى أجزاء عديدة من البلاد المعنية في رحلتنا هذه ، ومع تعاقب الأزمان استوطنوا هذه الديار وأصبحوا جزءاً لا يتجزأ منها .

(٢) إن دراسة اللباس والزينة في منطقة عسير من المواضيع الهامة والتي يجب دراستها من حيث النوع ، والحجم ، والمدلول ، واللون ، ومن يقارن تاريخ اللباس في الماضي والحاضر يجد تبدلات وتغيرات كثيرة ، والسبب في ذلك أعرف الناس ، وثقافتهم ، واقتصادهم ، والمؤثرات التي وفدت ولازالت تفد من خارج المنطقة أو البلاد بمفهومها الواسع . ومن يقارن زمن الرحلة عام (١٤١٣هـ) ، وتاريخ تدوين هذه الحاشية عام (١٤٣١هـ) يجد البون الشاسع في التغيرات التي جرت على اللباس خلال عقدين من الزمان ، فأصبح في أسواق محائل وانجاردة وبارق آلاف الموديلات والألوان المستوردة من عوالم عديدة في شتى الألوان والموديلات ، حتى أن بعض الألبسة التي نشاهدها في بعض الأماكن أو المناسبات صارت خارجة عن عرف ومألوف البلاد وما كان يعيشه الأوائل .

والمصنف وهي مثل الأزرق التي تلبس على الجزء السفلي من الجسد أثناء الحج ، وبعضهم يضع الريحان وبعض الأعشاب على الرأس وهي من علامات الزينة لديهم^(١).

أما الحياة التعليمية والثقافية فلا يخلو مكان من وجود مدرسة للبنين والبنات ، وفي مدينتي محائل و الجاردة معاهد متقدمة كمعهد المعلمات والمعهد العلمي وما شابهها ، إلا أنه لا يوجد بها كليات ومراكز للتعليم العالي لمن ينهي دراسته من الثانوية العامة^(٢). والملاحظ على الجانب الفكري عند أهل البلاد أنهم مسلمون متمسكون بكتاب الله وسنة رسوله ، ومن الشيء الحسن الذي لاحظته في المسجد الذي صلينا به الجمعة في حضن زهير ، هو أن أغلب الناس قبل مجيء الخطيب كان جميعهم عاكفين على قراءة القرآن ، وعند صعود الخطيب على المنبر تكلم في بعض القضايا الاجتماعية ، وأهم ما ركز عليه العادة التي صار يسلكها الناس في رمضان وهو سهر الليل ونوم النهار فحذر من خطورة هذه المسألة ونبه إلى عدم إضاعة الوقت ، كما نبه أولياء الأمور بالانتباه إلى أولادهم وبناتهم الذين يضيعون الليل فيما لا يفيد ، وبعد

(١) استخدام الريحان وأغصان الأشجار جزءاً من اللباس على الرأس ومن العادات القديمة عند أهل قامة ، ولإزالة البعوض من رجال هذه النواحي يجذونها ويجرصون على استخدامها في مناسباتهم وأسواقهم ومجالسهم العامة والخاصة .

(٢) في زمن رحلتنا لم يكن هناك مؤسسات تعليمية عالية ، واليوم (١٤٣١هـ) ، أصبح هناك العديد من الكليات والمراكز الجامعية المنتشرة في محائل و الجاردة ، بل صار هناك أرض واسعة مخصصة لبناء العديد من الكليات التابعة لجامعة الملك خالد ، ونأمل أن نراها قريباً جامعة مستقلة، لأن بلاد قامة الممتدة من القنفذة شمالاً إلى رجال ألمع ودراب بني شعبة جنوباً تستحق فعلاً جامعة لكثافة الطلاب والسكان بهذه النواحي.

الانتهاء من الصلاة قام الخطيب مرة ثانية وحثه على الصدقة في رمضان وعلى التبرع في سبيل الخير^(١).

أما الحياة الاقتصادية فالرعي لا يظهر إلا قليلاً ولم نشاهد إلا قلة من الرعاة على قارعة الطريق يرعون بعض الماعز، مع العلم أن من يقوم بهذه المهنة بعض الوافدين كالباكستانيين والمصريين والسودانيين الذين جلبوا من قبل بعض أهل البلاد. ولم نشاهد الكثير من الحيوانات، البرية أو الأليفة، اللهم إلا القروود في أعالي عقبة شعار، تتواجد بكثرة على قارعة الطريق غير مكترثه بالبشر ومركباتهم^(٢).

أما الزراعة، فلا يوجد بها كثير مزروعات، وأكثر المناطق التي يوجد بها بعض الزروع بلاد محائل وبارق والمجاردة، ومع وفرة الأراضي الصالحة للزراعة، إلا أن أصحابها تركوها وانصرفوا إلى العمل في الوظائف الحكومية والأعمال التجارية والصناعية الأخرى بهدف الحصول على أرباح أفضل وأسرع^(٣).

(١) عاصر المؤلف الصحة الدينية التي عاشتها بلاد عسير وغيرها منذ أوائل هذا القرن (١٥هـ/٢١م) حتى الآن، بل شاهد ما حصل من سلبيات وإيجابيات للدعوة والدعاة وطلاب العلم، وخطباء المساجد، وما نتج من صدمات فكرية ودينية وعقدية، وتلك الفترة جديرة بالبحث والدراسة، حبذا أن نرى البعض من طلاب الدراسات العليا في أقسام التاريخ، والاجتماع، والعلوم الشرعية. من يتصدى لتلك الحقبة، وما تحللها من تاريخ سيء وحسن، وما أفرزت من سلبيات على الصعيدين الداخلي والخارجي.

(٢) هذا ما شهدناه في عام (١٤١٣هـ)، ولا زال وضع هذه القروود سارياً حتى اليوم (١٤٣١هـ)، فتراها متناثرة على أطراف الطريق في عقبة شعار، ويظهر عليهم ملامح الجوع والأمراض، وإذا لم يوجد لها طريقة عزل أو إبعاد عن الناس والأماكن الهامة مثل الطرق وأماكن الاستراحة فستمثل خطراً كبيراً وبخاصة في مجالي الأمن والصحة.

(٣) انصرف سكان المملكة العربية السعودية عن الأعمال الزراعية إلى غيرها من الوظائف الحكومية والأعمال التجارية والصناعية تكاد تكون سائدة في معظم أنحاء البلاد، وثرأ الناس ووفرة المال في أيديهم أحد الأسباب التي جعلتهم يبتعدون عن ممارسة مهنتي الرعي والزراعة التي تحتاج إلى مجهودات كبيرة وشاقة.

ومهنتا التجارة والصناعات التقليدية والحرفية تمارسا بشكل جيد ، والمتأمل في أسواق وشوارع محائل عسير ، والمجاردة وخاط وبارق يجدها مكتظة بالمحلات والداكين التجارية المختلفة ، وهناك الكثير من الورش الصناعية والحرف التقليدية والسلع المتنوعة في بلدي محائل والمجاردة . والذاهب إلى السوقين الشعبيين في كل من هاتين البلديتين يشهد نشاطاً تجارياً مميزاً ، ويلاحظ وفرة العديد من السلع المصنوعة محلياً ، بالإضافة إلى مئات السلع المستوردة من داخل المملكة وخارجها^(١). وهناك حرف وصناعات محلية قديمة ولا زالت تمارس إلى هذا الوقت ، ومن أشهرها صناعة الخصف أو (الطفي) ، وكذلك عصر زيت السمسم وتستخدم الجمال لممارسة هذه المهنة^(٢).

٤ . خلاصة القول :

إن هذا الجزء الجغرافي الصغير الذي اشتملت عليه رحلتنا ، لا يمثل إلا جزءاً يسيراً من منطقة جغرافية واسعة تمتد من مكة المكرمة والطائف إلى جازان ونجران . وهذه البلاد بمفهومها الواسع تحوي الكثير من المقومات التاريخية والحضارية الجديرة

(١) في عام (١٤١٣هـ) كانت أعمال التجارة وممارسة الصناعة والحرف الأخرى موجودة ، وتتوفر بشكل جيد في محائل والمجاردة ، واليوم (١٤٣١هـ) نلاحظ قفزة جيدة في الأعمال التجارية والصناعية ، فهناك عشرات الأسواق والمتاجر الكبرى ، بالإضافة إلى ورش صناعية وفنية متعددة في شتى المجالات ، ناهيك عن سير التنمية والتطور فهو يسير بشكل ممتاز وعلى كل الأصعدة .

(٢) حب السمسم يوضع في برميل وبركب على البرميل جهاز مصنوع من الخشب ، ثم يؤتى بالجميل لتحريك هذا الجهاز الذي أحد أطرافه في وسط السمسم بداخل البرميل والآخر مربوط بالجميل ، ويتم تحريكه بواسطة هذا الحيوان لعدة ساعات حتى يتحول حب السمسم إلى زيت سائل يباع بأسعار عالية . ونلاحظ في عصرنا الحالي (١٤٣١هـ) أن حلت آلات الكهرباء محل الجميل فأصبح يعصر السمسم في البرميل عن طريق الكهرباء وليس الحيوان كما شهدناه في عام (١٤١٣هـ) .

بالبحث والدراسة ، فهي حلقة الوصل بين اليمن والحجاز ، وموطن قبائل عربية قديمة ترجع في نسبها إلى جدي العرب الرئيسين (القحطاني والعدناني) ، ناهيك عن مدخرات هذه الديار من الرصيد التاريخي والحضاري في شتى العصور والمجالات ، والتي آمل من الله - عز وجل - أن يوفقنا ويسددنا إلى إخراج العديد من الدراسات العلمية الهامة عن هذه البلاد^(١). كما آمل أن نرى من طلابنا من يتدرج في سلم البحث والدراسة حتى نجد بينهم من يتخصص في دراسة وتاريخ وآثار وحضارة هذه البلاد الجنوبية الغنية بتراثها وموروثها الحضاري ، كما آمل أيضاً ان نرى من فرعي جامعتي الملك سعود والإمام محمد بن سعود في أهما ، وعلى المستويين الرسمي والفردى ، من يولي هذه النواحي العسيرية وما جاورها كبير اهتمام في مجالي البحث والدراسة والتنقيب الأثري^(٢). وعودة إلى مناطق رحلتنا ، والتي هي - كما ذكرنا - أنموذج مصغر من بلاد قحمة والسراة الواقعة بين مكة المكرمة ونجران ، فقد خرجنا ببعض الانطباعات والنتائج التي نذكر منها ما يلي :

١- التباين الواضح في جغرافية الجزء السروي عن الجزء التهامي ، وهذا الاختلاف أثر أيضاً في المناخ ، وألوان الناس ولهجاتهم ، والبعض من عاداتهم

(١) خرج لنا بعد زمن هذه الرحلة (١٤١٣هـ) عشرات من البحوث والكتب والدراسات المنشورة والخاصة بتاريخ بلاد عسير ، ونجران ، والباحة ، وأجزاء أخرى من بلاد قحمة والسراة ، وفي عهود مختلفة منذ فجر الإسلام إلى عصرنا الحديث والمعاصر ، وأرجو من الله عز وجل أن يوفقنا إلى إخراج المزيد وأن يجعل أعمالنا خالصة لوجهه الكريم .

(٢) في عصر الرحلة لم يكن في أهما من مؤسسات التعليم العالي إلا كليات معدودة لفرعي جامعة الملك سعود والإمام محمد بن سعود الإسلامية ، والآن أصبح هناك منات الكليات والمعاهد والمراكز العلمية موزعة بين خمس جامعات حكومية في طول وعرض بلاد قحمة والسراة الممتدة من نجران وجازان إلى الطائف ومكة المكرمة ، بالإضافة إلى العديد من مؤسسات التعليم الأهلي والعالي ، وهي الأخرى تعمل جنباً إلى جنب مع التعليم الجامعي الحكومي .

وتقاليدهم وأعرافهم ، ناهيك عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية فهي الأخرى لا تخلوا من التباين . وهذه الفوارق والاختلافات جديرة بالبحث والتحليل والدراسة ، وهي مسؤولية المتخصصين وطلاب العلم ، كما هي أيضاً مسؤولية المؤسسات الحكومية والتعليمية والأهلية فتتضافر الجهود في خدمة كل ما يصب في مصلحة الدين والبلاد .

٢- لا تخلو هذه البلاد من المواطن الأثرية ، بل إن عموم بلاد عسير . ونجران والباحة وجازان غنية بآثارها ، ونقوشها ، ورسومها الصخرية ، بالإضافة إلى الأماكن الأثرية الأخرى ، مثل: القرى وأماكن التعدين وغيرها تستحق المحافظة عليها ، والاستفادة منها في مجال السياحة، والدراسة والبحث والتنقيب عن تاريخها.

٣- من خلال التجوال في أسواق محائل والمجاردة ، والالتقاء ببعض رجالها ، والتأمل في موروثها الشعبي ، اتضح لنا أن هناك كنوزاً من المعرفة التي يجب البحث عنها وحفظها وتدوينها ، وهي كثيرة جداً مثل : تحديد الأسواق الأسبوعية القديمة ودراسة تاريخها ، معرفة الفنون والرقصات والأمثال الشعبية التي عرفها ولازال يعرفها البعض من سكان هذه الديار ، والسعي إلى جمع القصص الشعبية وأحياناً الأسطورية ، والأحاجي والألغاز وغيرها والتي فعلاً تتواجد بكثرة في عموم بلاد تهامة والسراة ، وهي جديرة بالاهتمام بالإضافة إلى معرفة تراجم أعيان وحكماء ورموز هذه البلاد في القرون السابقة ، وما لعبوا من أدوار تاريخية وحضارية على مستوى ديارهم أو على مستوى العوالم التي عاصروها وعرفوها وشاركوا فيها .

٤- انصراف الناس بشكل عام إلى التباهي بملذات الدنيا وزخرفها ، وهذا مما جعل وتيرة الوثام والحب السائدين عند الأوائل يضعف ، بل بدأ يتلاشى ، وازدادت الفتن والشحناء والعداوات بين الناس ، وغالباً ما تكون بين

الأقارب والأرحام ، ولم يزد تحسن أوضاع الناس المادية والاقتصادية إلا نفرة فيما بينهم ، وهذه أمور نلمسها عند كثير من المجتمعات التي شاهدناها في معظم الأجزاء الجنوبية من المملكة العربية السعودية ، وربما تكون صفات عامة وسائدة على عموم سكان البلاد ، ومثل هذه الظواهر يجب دراستها من قبل المؤسسات التعليمية والبحثية ، واقتراح الحلول التي تساعد في تخفيف حدتها وعدم تفاقمها .